

من ذخائر المخطوطات:
"إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ
والمتشابه وتجويد القرآن"
للعلامة عطية الله الأجهوري (ت1190هـ)

أ.مقداد فريوي

كرّم الله الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم، الذي لا تنقضي عجائبه على كثرة الرد، حيث ابتدأت حياتها بكلمة "اقرأ"، فهذا القرآن الذي أنزل تبياناً لكلّ شيء، لا يزال محل اهتمام العلماء تفسيرا وفقها وبلاغة وإعجازا، ولا تزال المكتبات الإسلامية تطلعا كلّ يوم بالجديد من هذا الموروث العلمي الهائل، وما أكثر تلك الكتب التي ألّفت في علوم القرآن؛ جملة وتفصيلا، والتي حاولت استجلاء مكنون هذا الكتاب العظيم، الذي لا يخلق على كثرة الردّ.

والكتاب الذي بين أيدينا للإمام العالم عطية الله الأجهوري والمسمى:

"إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن"

من أهمّ وأندر الكتب التي ألّفت في هذا المجال، حيث جمع فيه مصنّفه جملة من الفنون، وهي: علم أسباب النزول، وعلم النسخ والمنسوخ، وعلم المتشابه، وعلم فضائل القرآن، وعلم التجويد، وهي علوم أساسية في فهم القرآن الكريم، وبيان أحكام الشريعة وكيفية تطبيقها.

والعلامة الأجهوري بتأليفه لهذا الكتاب الجامع، يكون قد أنجز عملا رائدا، تحقيق على كل باحث في مجال علوم القرآن أن يشتغل به، ويوليه العناية المثلى ليستخرج منه درره ولآليه التي حواها، بل وجددير بشيوخ العلم أن يضيفوه إلى جملة الكتب التي تدرس في حلقات العلم.

ولأهمية هذا الكتاب وقيّمته العلميّة جاءت الفكرة للتعليق عليه والكتابة عن منهج صاحبه فيه، بعد أن اطّلعْتُ على ثلاث نسخ خطية⁽¹⁾، اثنتان منها بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، والثالثة بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، بدبي، وذلك ضمن الخطة الآتية:

(1) وقد أتممت بفضل الله تعالى تحقيق الكتاب كلّه اعتمادا على هذه النسخ، وسيصدر قريبا إن شاء الله.

المبحث الأول: ترجمة الإمام الأجهوري.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته وولادته ووفاته.

المطلب الثاني: حياته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الثالث: شيوخه وتلامذته.

المطلب الرابع: مؤلفاته.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "إرشاد الرحمن" ومنهج صاحبه فيه.

وتضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نسبة الكتاب إلى المؤلف.

المطلب الثاني: وصف لبعض مخطوطات كتاب الإرشاد.

المطلب الثالث: مصادر كتاب "الإرشاد".

المطلب الرابع: منهج الشيخ عطية الله الأجهوري في كتابه "الإرشاد".

الخاتمة.

ملخص مقال:

إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والتمشابه وتجويد القرآن.

البحث الذي بين أيدينا يعرض لكتاب مخطوط من أنذر وأهم الكتب في فنه، ألفه

صاحبه: عطية الله الأجهوري (ت1190هـ/1776م) في علوم القرآن جمع فيه بين مجموعة من

العلوم

(أسباب النزول، النسخ والمنسوخ، فضائل القرآن وعلم التجويد)؛ وهو حقيق بأن يضاف إلى

جملة الكتب التي تدرّس في حلقات العلم، وعنوانه:

إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والتمشابه وتجويد القرآن.

Resume

The research that we have describe a rare and important manuscript in Koran sciences. Its writer has bind between many sciences and the manuscript is entitled « The Most God

**Guidance to Causes of revealed, Abrogation, Similar and
Koran Reciting » by Attiyat Allah Al Aljhoury
(1190h/1776a.d).**

المبحث الأول: ترجمة الإمام الأجهوري.

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكُنْيته وولادته ووفاته.

تذكر مصادر ترجمته أن:

1- اسمه ونسبه⁽¹⁾: هو عَطِيَّةُ الله بن عَطِيَّة، البرهاني، القاهري، الضَّرِير، الشافعي، الشهير بالأجْهُورِي؛ نسبة إلى مسقط رأسه قرية أجْهُور في مصر.

2- كُنْيته: أبو السَّخَاء⁽²⁾.

3- ولادته: ولد بأجْهُور الوُرْد؛ إحدى قرى القَلْيُوبِيَّة؛ إحدى محافظات مصر، ولم أجد من ذكر له تاريخ ولادته.

4- وفاته: ذكر الجبرتي في تاريخه⁽³⁾ أن الشيخ عَطِيَّة الأجهوري توفي في أواخر رمضان سنة 1190هـ، وتبعه في ذلك كحالة في معجمه⁽⁴⁾.

وعند المرادي في سلك الدرر⁽⁵⁾ أنه توفي سنة 1194هـ، ودفن بترية المجاورين، رحمه الله.

المطلب الثاني: حياته العلمية و ثناء العلماء عليه.

قال عنه الجبرتي في تاريخه: الإمام الفقيه العلامة الضرير، الشافعي، الشيخ عطية الأجهوري البرهاني، حضر دروس الشيخ العشماوي والشيخ مصطفى العزيمي، وتفقه عليهما وعلى غيرهما، وأتقن في الأصول، وسمع الحديث ومهر في الآلات، وأنجب ودرس المنهج⁽⁶⁾ والتحرير⁽⁷⁾ مرارا، وكذا جمع الجوامع بمسجد الشيخ مطهر، وقد حضر عليه غالب علماء مصر الموجودين، واعترفوا بفضله وأنجبا ببركته، وكان يتأني في تقريره ويكرر الإلقاء مرارا، مراعاة للمستملين الذين يكتبون ما يقوله. انتهى⁽⁸⁾.

(1) تاريخ الجبرتي، 488/1؛ وسلك الدرر، 265/3؛ وفهارس الفهارس، الكتاني، 778/2، والأعلام، 238/4؛ ومعجم المؤلفين، 287/6.

(2) وردت هذه الكنية في حلية البشر، 1563/3، ولم أجد لها عند غيره.

(3) 489/1.

(4) 287/6.

(5) 273/3.

(6) و هو كتاب ألفه الشيخ زكريا الأنصاري اختصر فيه المنهاج للإمام النووي.

(7) لأحمد بن محمد الجرجاني الشافعي، المتوفى سنة 482هـ، وهناك كتاب آخر في علوم الحديث للإمام الذهبي بعنوان:

المنهج في أصول الحديث، ولم يتبين لي ما هو المقصود؛ لأن الأجهوري متقن لكل هذه العلوم.

(8) عجائب الآثار، 488/1.

وقال عنه المرادي في سلك الدرر⁽¹⁾: "الشيخ عطية الله الأجهوري الهمام، العالم العلامة، الحبر البحر، الفاضل النحرير الفهامة، أخذ عن الشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوي...، وتصدر في جامع الأزهر لإقراء الدروس وورد عليه الطالبون، وألف مؤلفات نافعة...، وكان علم الفضل المشهور نتيجة الأيام والدهور من لم تسمع الآذان، ولم تر العيون بمثل تحقيقاته التي تستوضح الشمس للخاص والدون، مبرزا للتحقيق على طرف اللثام، يأتي كل يوم إلى الجامع الأزهر صبيحة النهار، ويحضر دروس الشمس محمد الحفناوي، ثم بعد الدروس يذهب إلى الرواق الآخذ إلى رواق الريافة (الجامع الأزهر)، فيأتي أذكياء جماعة يسمعون الدرس الذي يريد إقراءه مع الشروح والحواشي وهو يقرره لهم".

وجاء في فهارس الفهارس للكثاني⁽²⁾: "ترجم له: هبة الله البعلي في ثبته قائلًا: سمعت منه ما لا أذن أذن سمعت، ولا خطر على قلب شارح أو محشّ، وكذا ترجمه صاحب سلك الدرر، والأمير الشرقاوي في ثبتيهما، وكانت وفاته سنة 1194هـ بمصر، له ثبت أحال عليه في إجازته لشاكر العقاد، نروي بأسانيدنا إلى الأمير والشرقاوي، وشاكر العقاد، وغيرهم، عنه".

ونقل المرادي في كتابه سلك الدرر من ثبت لهبة الله الناجي البعلي، وهو تلميذ الشيخ عطية الله الأجهوري حيث ترجم له في هذا الثبث قائلًا: "لما قدمت مصر سمعت بأنه فريد وقته، وأنه يقرئ المختصر على التلخيص، فسرت إليه، فرأيت أنه يقرره في مدرسة الأشرفية، وقد فاتني شيء يسير من أوله، فحضرت عليه منه إلى آخره، وكان الذين يحضرونه ينوفون على خمسمائة، فسمعت منه ما لا أذن سمعت، ولا خطر على قلب محشّ ولا شارح".⁽³⁾

وقال عنه عمر رضا كحالة في معجمه⁽⁴⁾: "عطية بن عطية الأجهوري الشافعي البرهاني الضرير، عالم فقيه مشارك في الحديث وأصوله والمنطق والتفسير والنحو وغيرها".

المطلب الثالث: شيوخه وتلامذته.

أولاً: شيوخه.

تذكر المصادر أنّ عطية الأجهوري أخذ عن جملة من المشايخ، منهم:

(1) 265/3.

(2) فهارس الفهارس، 778/2 (431).

(3) سلك الدرر، 272/3.

(4) معجم المؤلفين، 287/6.

- 1- الشيخ مصطفى بن أحمد المصري الشافعي، الشهير بالعزيمي الصالح، الزاهد، شيخ مشايخ العصر ونادرة الدهر في زمانه، توفي سنة 1154هـ، وقال المرادي في سلك الدرر: توفي في حدود الستين⁽¹⁾.
 - 2 - الشمس محمد بن أحمد بن يحيى بن حجازي العشماوي، الشافعي، الأزهري، المتوفى سنة 1167هـ⁽²⁾.
 - 3- الشيخ حسن بن علي بن أحمد بن عبد الله المنطاوي، الشهير بالمداغي، الأزهري الشافعي المتوفى سنة 1170هـ⁽³⁾.
 - 4- شهاب الدين أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف المجيزي الملووي، عالم مشارك في بعض العلوم، توفي سنة 1181هـ⁽⁴⁾.
 - 5- الشمس محمد بن سالم الحفناوي الشافعي الحلوتي، الإمام العلامة الهمام المجمع على تقدمه في كل فريق، توفي سنة 1181هـ⁽⁵⁾.
 - 6- السيد علي بن علي بن مطاوع العزيمي، الشافعي، الأزهري، أدرك الطبقة الأولى من المشايخ، توفي سنة 1199هـ⁽⁶⁾.
- ثانياً: تلامذته.

تذكر المصادر، أنه كان لعطية الأجهوري تلامذة كثر، نبغوا في مختلف العلوم، وكانوا نادرة عصرهم، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

1. الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد الله الشرقاوي الشافعي، تفقه على علماء عصره، وحضر دروس الأشياخ المتقدمين، ومنهم الشيخ عطية الأجهوري، توفي سنة 1185هـ⁽⁷⁾.
2. الشيخ علي بن شمس الدين بن محمد بن زهران بن علي الشافعي، الرشيدى، الشهير بالحضري، ولد بثغر سنة 1124هـ، وفد عليه الشيخ عطية الأجهوري سنة 1138هـ⁽¹⁾، فقرأ عليه العصام في الاستعارات مع الحفيد، وقرأ عليه المنهج والمختصر والسلم، توفي سنة 1186هـ⁽²⁾.

(1) تاريخ الجبرتي، 241/1؛ وسلك الدرر، 278/3.

(2) تاريخ الجبرتي، 280/1، 488/1.

(3) تاريخ الجبرتي، 297/1.

(4) تاريخ الجبرتي، 335/1؛ وسلك الدرر، 265/3؛ ومعجم المؤلفين، 154/7.

(5) تاريخ الجبرتي، 339/1؛ وسلك الدرر، 265/3.

(6) تاريخ الجبرتي، 596/1.

(7) تاريخ الجبرتي 413/1.

3. الشيخ سليمان بن عمر المنصور العجيلي، الشافعي، الأزهري، المعروف بالجمال، صاحب الحاشية على الجلالين المشهورة، تفقه على الشيخ عطية الأجهوري، وتوفي سنة 1204هـ⁽³⁾.
4. الشيخ محمد مرتضى الزبيدي، هو محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، العلوي، الزبيدي النسب، أبو الفيض، وأبو الوقت، صاحب كتاب "تاج العروس بشرح القاموس". قال الجبرتي: كان الشيخ عطية الأجهوري من جملة المشايخ الذين كتبوا تقاريرهم على تاج العروس لمرتضى الزبيدي، وذلك أن هذا الأخير حين أتم شرح القاموس المحيط أقام وليمة حضرها طلاب العلم وشيوخ العصر، وذلك في سنة 1181هـ. انتهى⁽⁴⁾، توفي عام 1205هـ⁽⁵⁾.
5. الشيخ يوسف بن عبد الله بن منصور السنبلأويني، الشهير بـ"رزة"، الشافعي العالم الفاضل، حضر دروس الشيخ عطية الأجهوري، توفي سنة 1207هـ⁽⁶⁾.
6. أبو العرفان الشيخ محمد بن علي الصبان الشافعي، يروي عامة عن الشيخ عطية الأجهوري⁽⁷⁾، توفي سنة 1206هـ⁽⁸⁾.
7. الشيخ عبد الرحمن الأجهوري، النحراوي، الشهير بمقرئ الشيخ عطية الشافعي المصري، توفي سنة 1210هـ. قال عنه الجبرتي: الإمام العالم المفيد عمدة المحققين والمدققين لازم الشيخ عطية الأجهوري ملازمة كلية، وأعاد الدروس بين يديه، واشتهر بالمقرئ، وبالأجهوري؛ لشدة نسبه إلى الشيخ المذكور. انتهى⁽⁹⁾.

(1) وفي النفس شك من هذا التاريخ؛ لأنّ مثل هذه العلوم لا يمكن أن تعطى لمن عمره دون البلوغ، فلعل هناك خطأ في تحديد السنة؟

(2) تاريخ الجبرتي، 421/1.

(3) تاريخ الجبرتي، 88/2؛ حلية البشر، 692/2.

(4) تاريخ الجبرتي، 105/2.

(5) فهارس الفهارس، الكتاني، 526/1.

(6) تاريخ الجبرتي، 154/2؛ حلية البشر، 1595/3.

(7) فهارس الفهارس، الكتاني، 705/2.

(8) تاريخ الجبرتي، 138/2.

(9) تاريخ الجبرتي، 173/2؛ حلية البشر، 838/2.

8. الشيخ محمد بن أحمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدي، الشافعي، الشهير بابن الجوهري، وهو أحد الإخوة الثلاثة، وأصغرهم ويعرف بالصغير، حضر دروس الشيخ عطية الأجهوري في الأصول والفقه وغير ذلك، فلازمه، وبه تخرّج في الإلقاء، توفي سنة 1215هـ⁽¹⁾.
9. الشيخ الونائي، هو أبو الحسن علي بن عبد البر بن علي الونائي، الشافعي، المصري، المكي، الفقيه المحدث المسند، الصوفي الإمام العلامة، المتوفى سنة 1212هـ، أخذ عن الشيخ عطية الأجهوري⁽²⁾.
10. الشيخ محمد بن أحمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدي، الشافعي، الشهير بابن الجوهري، وهو أحد الإخوة الثلاثة، وأصغرهم ويعرف بالصغير، حضر دروس الشيخ عطية الأجهوري في الأصول والفقه وغير ذلك، فلازمه، وبه تخرّج في الإلقاء، توفي سنة 1215هـ⁽³⁾.
11. الشيخ عبد الحليم بن مصطفى بن محمد بن خليل الشافعي العجلوني، ثم الدمشقي، أخذ عن جماعة من علماء مصر، منهم، الشيخ عطية الأجهوري، توفي سنة 1217هـ⁽⁴⁾.
12. الشيخ أحمد بن عبيد العطار الدمشقي الشافعي الشهير بالعطار، المتوفى عام 1218هـ، أجازته بالمكاتبة الشيخ عطية الأجهوري⁽⁵⁾.

المطلب الرابع: مؤلفاته

ألّف الشيخ عطية الأجهوري التأليف العديدة النافعة، منها:

- 1- حاشية على شرح الزرقاني على البيقونية في مصطلح علوم الحديث، طبعت طباعة حجرية أولاً، ثم قام بتحقيقها محمد صلاح عويضة، ونال بها رسالة الماجستير، وقامت بطبعها دار الكتب العلمية 1999، لكن لم أطلع عليها.
- 2- "شرح مختصر السنوسي في المنطق".
- 3- "إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن"، وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

(1) تاريخ الجبرتي، 440/2.

(2) فهارس الفهارس، الكتاني، 1114/2.

(3) تاريخ الجبرتي، 440/2.

(4) حلية البشر، 790/2.

(5) فهارس الفهارس، الكتاني، 828/2.

- 4- كتاب "الكوكبين النيرين في حل ألفاظ الجلالين"، حاشية على تفسير الجلالين.
ونسب إليه كحالة في معجمه، 287/6 كتابين آخرين، هما:
- 5- "حاشية على شرح الغاية" لابن قاسم في الفقه الشافعي، ويوجد كتاب آخر بنفس العنوان لعبد البر الأجهوري، المتوفى سنة 1070هـ، كما ذكر في كتابه معجم المؤلفين، 77/5.
- 6- "حاشية على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك" في النحو.
ولم نجد من ذكر ذلك غيره، فيما وصلنا إليه، وقد قام بعزو كلامه إلى مصادر أخرى لم تتوافر لدي.

وذكر بروكلمان في القسم الثامن (12-13) ص233، كتابا هو:

7- "حاشية على شرح المنهج".

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "الإرشاد" ومنهج صاحبه فيه

تقتضي هذه الدراسة الحديث عن كتاب "الإرشاد"، لاسيما نسبتُهُ إلى صاحبه الشيخ عَطِيَّةَ الله الأجهوري، مع وصف للمخطوطات التي عثرتُ عليها، وكذا الحديث عن مصادره التي استقى منها مادته العلمية، والمنهج الذي سلكه في تصنيف هذا الكتاب الفريد في بابه، فهذه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نسبة الكتاب إلى المؤلف.

المطلب الثاني: وصف المخطوطات.

المطلب الثالث: مصادر كتاب "الإرشاد".

المطلب الرابع: منهج الشيخ عَطِيَّةَ الله الأجهوري في كتابه "الإرشاد".

المطلب الأول: نسبة الكتاب إلى المؤلف

اتفقت المصادر التي ترجمت لعَطِيَّةَ الله الأجهوري على أنّ كتاب "إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن" له، فقد جاء في هذه المصادر ما يأتي وفقا للترتيب الزمني لها:
قال الجبرتي في تاريخه، 488/1: "وله في أسباب النزول مؤلف حسن في بابه جامع لما تشتت من أبوابه".

وفي إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، 60/3: "إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن للشيخ عطية الأجهوري المصري الضرير".

وجاء في هدية العارفين، 665/5: "له إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن".

وقال الزركلي في الأعلام، 238/4: "من كتبه: إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن".

وقال عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين، 287/6: "من آثاره: إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن".

وفي تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، القسم الثامن، العصر العثماني، (12-13أ)، ص233: "من آثاره: إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن".

قلت: ولم أجد من استدل بنص من إرشاد الرحمن أو أشار إليه فيما وصلنا إليه من بحث.

المطلب الثاني: وصف المخطوطات

إنّ المخطوطات التي حصلتُ عليها ثلاثة: اثنتان من مكتبة الأزهر الشريف بالقاهرة، والثالثة من مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ببدي، سأتحّدث عنها تباعا حسب الأهمية.

أولا: نسخة الأزهر الشريف، تقع في 318 ورقة، عدد الأسطر في كل صفحة منها 25

سطرا، نُسخت عام 1177هـ، أي بعد سنة واحدة من تاريخ نسخة المؤلّف التي سيأتي الحديث عنها، وفي الورقة الأولى، وهي ورقة العنوان، جدول فيه عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه، وعليها ختم، لكنّه غير واضح كما ينبغي، ولعله الختم نفسه الوارد في المخطوطة (ف)، وهو على شكل بيضوي، وفيه "الكتبخانة الأزهرية"، ومكتوب في أول صفحة، أي ورقة العنوان: ملك الحاج عبد الرحمن كتبخدا قازدغلي، وكذا في أسفل ورقة العنوان، أوقف وحبس الجناح العالي الأمير الكبير الحاج عبد الرحمن كتبخدا قازدغلي بهذا الكتاب المسمى بأسباب النزول، برواق الأترك على طلبة العلم بالجامع الأزهر لا يغير ولا يبدل، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم، وعليه تاريخ "تحريرا في 15 ذي القعدة الحرام سنة 1182"، وهذا تاريخ تحرير الوقف، وليس تاريخ النسخ، ومكتوب على ورقة العنوان: "كامل لا خرم فيه"، وفي الهامش الأيسر من نفس الصفحة رقمان: الأول: 248، والرقم الثاني: 28473، ومكتوب تحت الرقمين علوم القرآن، وهذه المخطوطة مكتوبة بالخط النسخي، وهو خط جميل واضح مقروء، كتبها الحاج مصطفى، من تلامذة الوهبي⁽¹⁾، وفي ثاني ورقة منها، وهي أول الكتاب، توجد زخرفة مثل زخرفة المصاحف، بحجم نصف الصفحة من الورقة الأولى، وميزت أسماء السور، والفصول والعناوين الفرعية باللون

(1) بحثٌ عن ترجمة له فلم أعثر له على شيء يذكر.

الأحمر، وكل ورقة مجدولة بخطين يحيطان بكل صفحة على حدة، وهكذا إلى آخر الكتاب، وبداية الكتاب قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، قوله: الحمد لله حمدا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده»، ونهاية الكتاب: «...وفعل ذلك بأمر ابن سيرين، وقيل غير ذلك، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وهذا آخر ما أردنا جمعه من كتاب إرشاد الرحمن، غفر الله لنا ولمن حملنا على جمعه، ولسائر الإخوان، إنه واسع الجود والغفران والحمد لله على الإتمام».

وأما ما ميز هذه النسخة عن غيرها، فهي الأمور الآتية:

1- أنها نسخة قوبلت على النسخة الأصلية مع سماع المؤلف، حيث يوجد التأكيد على هذا الكلام في أول ورقة بالعبارة الآتية: "بلغ مقابلة على أصله مع سماع جامع - حفظه الله هو ومن حملة عليه - ويعاد ذكره كلما وصل إلى العدد عشرة، وهكذا إلى آخر الكتاب، حيث يقدر عدد هذه الملاحظات باثنين وثلاثين موضعا، وجاء في الهامش الأيمن من الورقة 318، وهي نصف صفحة فقط، ومما كُتِبَ مكتوب في آخرها:

"هذا ما تيسر جمعه للعلامة الحبر الهمام الشيخ عطية الأجهوري؛ أملاها بفمه وقراءة عليه، وكان سببا لتأليفها الواقف لها غفر الله له ولمؤلفها ولقارئها، إنّه سميع قريب".

2- أنّ هذه النسخة تامة كاملة، كما أشرنا من قبل، ولا يوجد بها خرم، أو سقط لكلمة، أو جملة، أو سطر، أو غير ذلك نائيا.

3- وضوح النص من بداية الكتاب إلى نهايته، وليس بها أي طمس لكلمة، أو جملة، أو سطر.

4- وجود تفسير للكلمات الغريبة، وكذلك تصحيح لبعض الأسماء التي تحتاج إلى بيان.

5- بها تعليقات بالحواشي، مرة في الجهة اليمنى، ومرة في الجهة اليسرى، وهو ما يؤكّد أنها كتبت بأمر من المؤلف، وهو يسمع ويصحح، ولأن كثيرا من هذه التعليقات هي في النسخة الأصلية، التي هي سابقة على هذه النسخة بسنة واحدة فقط، وهي نسخة المؤلف، وهي التي تم تبويضها قبل سنة واحدة.

ثانيا: نسخة مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، تقع في 383 ورقة، وعدد الأسطر في كل صفحة منها 23 سطرا، كتبت بخط نسخ عادي، كتبها علي بن موسى الأجهوري، أملاها عليه المؤلف، وقرأها عليه، ومصدرها روسيا، المدينة: سانت بطرسبرغ، من مكتبة الجامعة، كلية الدراسات الشرقية تحت

رقم 795، وهذه المعلومات المتعلقة بالمصدر أُخذت من الورقة الأولى الخاصة بمركز جمعة الماجد، والمركز هو الذي وضع هذه المعلومات، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، كُتب عنوان هذه النسخة في أول ورقة الكتاب بشكل هرم مقلوب، وفيه العنوان كاملاً، واسم المؤلف، ثم يلي هذه الورقة مباشرة بداية الورقة الثانية، وهي بداية الكتاب، البسملة، ثم قوله: «الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده»، ونهاية الكتاب: «... وفعل ذلك بأمر ابن سيرين، وقيل غير ذلك، وهذا آخر ما أردنا جمعه من كتاب إرشاد الرحمن، غفر الله لنا ولمن حملنا على جمعه، ولسائر الإخوان، إنه واسع الجود والغفران، والحمد لله على الإتمام، وصلى الله وسلم على آله وصحبه أجمعين». وفي هذه النسخة أمور لا بد من ذكرها:

- إن هذه النسخة هي نسخة المؤلف التي أملاها بفمه؛ فقد كان ضريراً، لا يقدر على الكتابة، وهي النسخة المبيضة والنهائية، حيث قال جامع رحمه الله: «تم تبيضه في يوم الاثنين، لثمان مضت من شعبان، من شهور سنة 1176، ألف ومائة وست وسبعين من هجرة سيد المرسلين -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين»، وفي نهاية الكلام مكتوب "صح صح"، مرتين.

- يوجد في هامش الأوراق تعليقات وشرح لبعض الكلمات، والأسماء، وعزو لبعض النقول إلى مصادرها، كالمختار، والقاموس، والخازن، والدر المنثور، وهي كثيرة، مثلها مثل النسخة الأولى، وربما يختلف بعضها عن بعض قليلاً في هذه النقطة.

ثالثاً: نسخة الأزهر (2)، تحمل رقم 272، وتحت رقم آخر هو 41770 علوم القرآن، ولا شك أنّ هذا الترتيب هو رقم المخطوطة، ورقم الفن الذي صنفت فيه، وتقع في 341 ورقة، بما يقدر بـ 23 سطراً في كل صفحة من الورقة، وهي نسخة مقروءة واضحة، كتبت بخط نسخي عادي، أسماء السور والفصول والعناوين الفرعية مكتوبة بالحمرة، وفي الورقة الأولى، وهي ورقة العنوان الذي كتب بشكل هرم مقلوب، نسبة الكتاب للشيخ عطية الأجهوري، وبصفحة العنوان أيضاً ختم بشكل بيضوي مكتوب فيه على الأغلب "الكتبخانة الأزهرية"، نظراً إلى عدم وضوح الصورة، وفي بداية الورقة الثانية ما يأتي: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمداً يوافي نعمه...» الخ، وفي نهايتها: «... وفعل ذلك بأمر ابن سيرين، وقيل غير ذلك، والحمد لله على الإتمام، وكان الفراغ من تبيض هذا الكتاب يوم الأربعاء المبارك 27 ربيع الأول 1297 على يد كاتبه الفقير إلى الله الراحي عفو ربه: أحمد رزق غفر الله له ولوالديه ولكافة المسلمين، آمين»، ولكن بها خرم أضرباً، فهو يبدأ من الورقة 20/ب عند قوله: "وجعل رسول الله ρ يلسم النظر

إلى..."، عند الحديث عن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: 142]، وينتهي عند قوله: "فأنزل الله عز وجل فيهم صدر سورة "آل عمران"، إلى بضع وثمانين آية منها"، أي من سورة "آل عمران". ويستمر التسلسل الرقمي للأوراق مباشرة عند الرقم 21 حتى آخر الكتاب، وهناك جزء من الورقة في آخر سورة "سبأ" به سقط، وأما النقص في بعض الجمل والأسطر والكلمات، فموجود على مستوى الكتاب، ولكنه قليل، و في الورقة الأخيرة يوجد الحتم نفسه الموجود في ورقة العنوان، ويوجد في ورقة العنوان كلمة "كاملة"، وليس ذلك بصحيح بسبب الحزم الذي بيناه، أو لعل الحزم وقع بعد، وفيه بيتان من الشعر للكاتب نفسه فيما يبدو؛ لأنه ذكر اسمه في البيت الثاني، مع العلم أن بداية كل بيت منهما به طمس، وهذان البيتان هما:

...الله الذي خضعت له السموات وهو الواحد الباري
...فاستغفر لكاتبه أحمد لعله ينجو من النار

المطلب الثالث: مصادر كتاب "الإرشاد"

ذكر الأجهوري في مقدمة "الإرشاد" أنه سلك مسلك الجمع بين الروايات والاختصار في فصل أسباب النزول، معتمدا في ذلك على كتابين أساسيين، هما: أسباب النزول لأبي الحسن الواحدي، ولباب النقول لأسباب النزول، للحافظ السيوطي، و أضيف بعض المصادر الأخرى التي استفاد منها، وهي كما يأتي:

في التفسير وعلوم القرآن:

- 1- تفسير ابن جرير الطبري
- 2- الدر المنثور للحافظ السيوطي
- 3- تفسير مقاتل بن سليمان
- 4- تفسير ابن أبي حاتم
- 5- تفسير ابن مردويه
- 6- التحبير في علم التفسير للحافظ السيوطي
- 7- الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي

في علم أسباب النزول:

- العجاب في بيان الأسباب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ولم يذكره لكني وجدت جملة من النصوص في هذا الكتاب تتفق مع ما في الإرشاد.

في علم الناسخ والمنسوخ:

- 1- كتاب الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة البغدادي، نص عليه في المقدمة.
- 2- كتاب مختصر أسباب النزول، وفيه مبحث الناسخ والمنسوخ لإبراهيم الجعبري، نص عليه في المقدمة أيضا.

في الحديث:

- 1- صحيح البخاري.
- 2- صحيح مسلم.
- 3- جامع الترمذي.
- 4- سنن أبي داود.
- 5- سنن ابن ماجه.
- 6- سنن النسائي.
- 7- مسند الإمام أحمد.
- 8- المستدرک على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري.
- 9- المعاجم الثلاثة للطبراني.
- 10- موطأ الإمام مالك.

في متشابه القرآن:

- 1- البرهان للكرماني.
- 2- فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري، نص عليهما في مقدمة الكتاب.

في فضائل القرآن:

- 1- كتاب التذكار في أفضل الأذكار للإمام القرطبي مؤلف الجامع لأحكام القرآن، نص عليه في المقدمة.

في تجويد القرآن والقراءات:

- 1- كتاب غنية الطالبين ومنية الراغبين للإمام محمد بن قاسم البقري، نص عليه في المقدمة.
- 2- النشر في القراءات العشر للمحقق أبي الخير بن الجزري.

في اللغة:

- 1- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي.

2- القاموس المحيط للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي.

المطلب الرابع: منهج الشيخ عطية الله الأجهوري في كتابه "الإرشاد"

سبقت الإشارة في ترجمة الأجهوري، إلى أنه علامة زمانه؛ فهو الفقيه الأصولي المفسر اللغوي، صاحب التصانيف النافعة العديدة والمفيدة، وظهر ذلك جليا في "إرشاد الرحمن"، حيث أحسن فيه التنسيق والتأليف، واستطاع أن يجمع في مؤلفه هذا بين مجموعة كتب دون أن يخل بترتيب كل كتاب من تلك الكتب، ودون أن تختفي شخصيته في هذا الكتاب، وهو كتاب فريد بهذا المنهج الذي لم يسبق إليه. أما ما قاله محقق كتاب البرهان للكرماني فلا يضره، قال: "وجاء عطية الله الأجهوري من العلماء المتأخرين فاستبطن في كتابه "إرشاد الرحمن" كتاب "البرهان" للكرماني، فقسمه بحسب السور"⁽¹⁾، لأن كلمة استبطن توحى بشيء من التنقيص والتقليل من شأن عالم أجمع كل من ترجم له على جلاله قدره وغزارة علمه، وتمكنه في كل فنون الشريعة.

كما أن الأجهوري جعل لنفسه منهجا واضحا في تأليف هذا الكتاب، فقال في مقدمته: "واعلم أننا نتكلم بعون الله تعالى على أسباب نزول كل سورة بمفردها، وبعد الفراغ منها نتكلم على الآيات المنسوخة منها، ثم نتكلم على المتشابه فيها، ثم نختتم بما تيسر من فضلها من كتاب التذكار للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي رحمه الله تعالى، ونترجم كل نوع من ذلك بفصل بعد ترجمة كل سورة، جاعلا مقدمة تشتمل على فوائد مناسبة للمقصود".

وقد تحدّث في مقدمة الكتاب عن المقصود الذي أشار إليه، وهو: أول ما نزل، وآخر ما نزل، وتقسيم السور باعتبار النسخ والمنسوخ أربعة أقسام، وترتيب السور المكّية والمدنية بحسب النزول، وفصل الكلام في هذه العناوين، ثم بعد ذلك شرع في فصل أسباب النزول، ويمكن أن أخص منهجه في النقاط الآتية:

النقطة الأولى: منهجه في أسباب النزول.

قبل أن يبدأ في فصل أسباب النزول تحدث عن كل سورة من حيث إنها مكّية أو مدنية، أو بعضها مكّي والبعض مدني، ثم يتحدث عن عدد الآيات لكل سورة، وعند كل عادّة، وأحيانا يذكر عددا واحدا يراه هو المعتمد، كأن يذكر سورة ما فيها من الآيات كذا، إشارة منه إلى ما اعتمده وضح لديه ويُعرض عن ذكر الباقي، أما عن منهجه في إيراد الأسباب، فقد أشار إلى أنه إذا لم ينسب الكلام للواحد فإنه من

(1) مقدمة أسرار التكرار في القرآن، المسّمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبد القادر عطا، ص7.

اللِّبَاب للسيوطي، وما زاد على ذلك ينسبه لقائله لدفع الارتياب، أي أنه إذا أخذ من تفسير الطبري أو تفسير ابن أبي حاتم أو الدر المنثور أو أحد كتب الحديث، أو غير ذلك ينسب الكلام لصاحبه.

ومنهجه في الحقيقة لا يختلف عن منهج الواحدي والسيوطي فيما يتعلق بأسباب النزول، حيث إن هذين الأخيرين يعتمدان منهجا واحدا فيما يتعلق بإيراد الآيات التي لها سبب نزول، إلا ما خالف فيه السيوطي الواحدي في النقاط الست التي ذكرها في اللِّبَاب، ونقلها الأجهوري في مقدمة الإرشاد، وإلا فترتيبهما بحسب السور واحد، ويختلفان أحيانا في إيراد الآيات.

والأجهوري يجعل عنوانا كبيرا باسم السورة، ثم يجعل تحته عناوين فرعية مصدرا كلاً منها بقوله عزوجل: ﴿...﴾، فيورد جزءا من الآية، ثم يقول: الآية، إشارة إلى الكل، وهذا حال المنهج عند الواحدي والسيوطي في كتابيهما، غير أن الأجهوري يخالفهما في أنه يجعل لكل بداية سورة عنوانا رئيسا يسميه: الفصل الأول: في أسباب النزول، ثم يلحق بهما في ذلك، وهكذا مع كل سورة حتى نهاية القرآن الكريم، ويسرد ما ورد فيها من آثار عن سبب نزولها، ويصرح بوجود الاختلاف في سبب النزول، وفي بعض الأحيان يشير إلى أصح ما ورد في سبب نزولها.

ويلاحظ من صنيع المؤلف في قسم أسباب النزول أنه ينسب القول لصاحبه، وأحيانا يقول: قال المفسرون، وأحيانا لا ينسبه لأحد، وهذا منهج الواحدي كما بينه الدكتور ماهر ياسين الفحل، حفظه الله، في تحقيقه لأسباب النزول للواحد، وقد أجاد وأفاد فله الشكر والتقدير.

كما أن ما ميز منهج الأجهوري أنه يختصر الأسانيد التي أوردها الواحدي، وصرح بهذا المنهج في مقدمة كتابه حيث يقول: "...أن أجمع في كتاب مقاصد ما ذكره الأئمة الثلاثة، مراعيًا في ذلك الاختصار، بترك الأسانيد وترك التكرار"⁽¹⁾.

فهو يتجه مباشرة إلى النص المراد، أو إلى راوي النص مباشرة، ويتخير ما يظهر له أنه الصواب، وقليلًا ما يذكر السند، فإذا ما نقل عن السيوطي، فإنه يذكر ما قاله السيوطي عن هذا الحديث، أو عن هذه الرواية أو عن الراوي من تصحيح وتضعيف، أو أصح ما قيل في كذا، أو فلان ضعيف إلى غير ذلك، أو زاد السيوطي كذا، وهكذا.

والأجهوري بعد إيراده للآيات التي لها سبب نزول يذكر تباعا الأحاديث المتعلقة بالموضوع، ويذكر بعض أحكامها الفقهية، ويستشهد لذلك بأقوال الصحابة، ويردف بأقوال التابعين كمجاهد وعكرمة

(1) الورقة 1 من نسخ المخطوط الثلاثة.

والضحاك وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح، وأتباع التابعين كمقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان والزهري والسدي الكبير والسدي الصغير وغيرهم كثير.

هذا فيما يتعلق بمنهجه في أسباب النزول، والكلام فيه يطول، وحسبنا أنا بيّناه مختصراً جامعاً.

النقطة الثانية: منهجه في الناسخ والمنسوخ.

الناسخ والمنسوخ هو الفصل الثاني في ترتيب الفصول لكل سورة حتى نهاية الكتاب، إلا إذا لم يكن في السورة ناسخ ومنسوخ، فإنه ينتقل إلى فصل المتشابه، حيث نجد أنه قد ميز نفسه بمنهج يقرر فيه أن هذه السورة فيها من الآيات المنسوخة عدد كذا، ويذكرها واحدة واحدة على التوالي حسب ترتيب المصحف، ويذكر ما فيها من ناسخ ومنسوخ، وما هي الآية الناسخة لكل آية، فيستشهد بها على ما جزم به، ومرجعه في ذلك ما وصل إليه من أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم دون النظر إلى ما أورده هبة الله بن سلامة البغدادي في كتابه الناسخ والمنسوخ، مع كثرة ما ينقله عنه، لكننا لا نجزم أن كل ما نقله هو من كتاب هبة الله بن سلامة، بدليل أن الكلام نفسه موجود في جملة من كتب الناسخ والمنسوخ للعلماء الآخرين، وقد صرح باعتماده أكثر على هذا الكتاب مع كتاب الجعبري، مختصر أسباب النزول، وسيأتي الحديث عنه، وزاد عليهما من مصادر أخرى، مع العلم أنه في هذا الباب يتطرق إلى المسائل الفقهية وأحكامها، فإن كان في الآية شيء من الأمور الفقهية ذكرها الأجهوري، وقرر رأي الفقهاء في ذلك، كما في آية الوضوء، وتفصيلات الآية، ومنها: مسح الرأس وغسل الرجلين ومسحهما، تبعاً لاختلاف القراءتين نصباً وجرماً، مع العلم أنّ كلتا القراءتين متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذا آية التسمية على الذبيحة ومتعلقات الذبيحة إلى آخر الكتاب، ولكن يذكر الحكم مختصراً؛ لأن مقام بسط الكلام في مظانه.

وأما كتاب إبراهيم الجعبري المسمى بمختصر أسباب النزول، الذي زاد عليه علم الناسخ والمنسوخ، فقد قال عنه الأجهوري: "وقد تركنا كثيراً مما ذكره الإمام الجعبري في الآيات المنسوخة؛ لكون النسخة التي بأيدينا سقيمة جداً"⁽¹⁾، وهو بهذا في بعض الأحيان يوافقهما، أو ينقل عنهما ما قرره في هذه السورة، أو في هذه الآية، وقد ذكر في مقدمة الكتاب الإمام إبراهيم الجعبري الذي اختصر أسباب النزول للواحد، وزاد عليه علم الناسخ والمنسوخ، فهل ما قرره في الناسخ والمنسوخ أخذه منه؟ لم يقع بين يديّ هذا الكتاب، ولكن ظهر لي أنه كثيراً ما يخالف هبة الله بن سلامة، وبالرجوع إلى الكتب المتعلقة بهذا العلم نجد أن ما يقرره في الحقيقة إنما هو مقرر في كتاب النحاس المسمى بالناسخ والمنسوخ، ومثله كتاب الإيضاح لمكي بن أبي طالب القيسي، وكتاب الناسخ والمنسوخ لابن العربي، ونواسخ القرآن لابن الجوزي.

(1) الورقة 28 من المخطوطة (1) الأزهرية.

النقطة الثالثة: منهجه في التمشابه.

وأما عن منهجه في التمشابه من الآيات، وهو الفصل الثالث من فصول الكتاب، وأحيانا يكون الفصل الثاني عندما لا يكون في السورة ناسخ ومنسوخ، فإن منهج الأجهوري في التمشابه لا يختلف كثيرا عن منهج الكرمانى في "البرهان"، أو الأنصارى في "فتح الرحمن"، وهذا إقرار من المؤلف أنه هذا حدو الكرمانى في منهجه.

وقد تناول الزيادة والحذف الموجود بين الآيتين، كما في الآيات التي تتحدث عما كان يفعله قوم إبراهيم، وسؤال إبراهيم عليه السلام لهم، والآيتين في سورتي "الأنبياء" و"الشعراء"، ومواضيع التكرار اللفظي في القرآن، كما قد يتبادر إلى الذهن، وهو ليس بتكرار، وكثيرا ما يقع في القرآن إبدال كلمة بأخرى، أو حرف بحرف، والتقديم والتأخير، ومجىء الكلام في موضع على نظم، وفي آخر على عكسه، وكذا مجىء اللفظ جمعا في آية، ومفردا في آية أخرى، وكثيرا ما يتعرض إلى علم الفواصل في القرآن .

ولأن مرجعه في ذلك ما ذكر أعلاه، فقد سار على منهجهما في تناول الآيات بالطريقة ذاتها، لأنه ناقل عن الاثنين معا، سوى أنه جزئاً التمشابه، فأورد في كل سورة ما ظهر له أنه من التمشابه، بخلاف الكرمانى والأنصارى، فإن ما في كتاب كل واحد منهما متضمن فقط للتمشابه، مع الإشارة إلى أن الشيخ زكريا الأنصارى انتخب هو الآخر كتابه من أسئلة القرآن المجيد للرازي، والبرهان، والإمام الأجهوري في ذلك تبع لشيخه (بالنسبة لتأليف الكتاب)، في إيراد ما قاله الكرمانى، فإن وجد آية تكلم عنها الكرمانى ولم يتكلم عنها الأنصارى نقلها، والعكس أيضا، قد يجد في فتح الرحمن ما ليس في البرهان، فيأخذه مباشرة.

النقطة الرابعة: منهجه في فضائل القرآن.

ختم الإمام الأجهوري كل سورة من سور القرآن الكريم بخاتمة حسنة في فضائل القرآن، معتمدا في ذلك على "كتاب التذكار في أفضل الأذكار" للإمام القرطبي، وأورد الآثار التي ذكرها القرطبي في كتابه دون تمحيص، ودون ذكر لقوة الحديث وضعفه، وأحيانا يأخذ الحديث الضعيف ويترك الصحيح أو الحسن، مع العلم أن أكثر الأحاديث التي جاء بها القرطبي في كتابه هذا ضعيفة أو موقوفة، والأجهوري لا يأتي بكل أثر ورد في فضل السورة، بل يأخذ بعض الآثار، ولم يورد من غير هذا الكتاب شيئا على الإطلاق، وقد صرح في مقدمة الإرشاد بذلك.

النقطة الخامسة: منهجه في تجويد القرآن.

ذيل الإمام الأجهوري كتابه "الإرشاد" بعد الانتهاء منه بتتمة في تجويد القرآن⁽¹⁾، قال فيها:

(1) لم يذكر في مقدمة الكتاب ما هو الكتاب المعتمد في تجويد القرآن إلا عندما وصل إليه.

وقد رأينا من أحسن كتب التجويد وأوضحها كتاب "غنية الطالبين ومنية الراغبين للإمام محمد بن قاسم البقري الشافعي رحمه الله تعالى، المتوفى عام 1111هـ، وهو كتاب اشتمل على خمسة عشر بابا، وخاتمة، وسرد هذه الأبواب تباعا، ثم بدأ بالباب الأول تفصيلا على وفق الترتيب الوارد في الكتاب نفسه.

خاتمة:

هذا ما وُفِّقْتُ لجمعه حول كتاب "إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن" وصاحبه العلامة الإمام عطية الله الأجهوري (ت 1190هـ)، وهو كتاب رائد في بابه، قصدت من خلال ما كتبت تعريف طلاب العلم به لاسيما المشتغلين بعلوم القرآن، عسى الله سبحانه وتعالى يُيسِّر له من ينهض بدراسته دراسة منهجية ضافية، إنه ولي ذلك والقادر عليه.